Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ الطبع والصنعة:

من الأدباء من يغلب عليه الطبع السمح، الذي يصله بأسباب البلاغة من غير جهد، فلا يغوص وراء المعاني، ولا يجري وراء الألفاظ المونقة إن تأبت عليه، ويكفي أن تتجه نفسه إلى الغرض، ليرسل القول على طبيعته، سيان عنده: أن جاء موجزاً أم مطنباً، مرسلا أم مسجعاً أم موشى بألفاظ الزخرف وصور الخيال، كابن المقفع وسهل بن هرون، ومنهم من غلبت عليه الصنعة فلا يسيل قلمه إلا في إطار من الزخرف، وعلى ديباجة من حرير؛ إذا تخيل أبدع، وإن صور أمتع، وإن سجع فدونه سجع الحمام؛ كابن العميد وبديع الزمان.

ومنهم من أغرم بهذا اللون ولم يسعفه الطبع؛ فراح يثقل أسلوبه بألوان الزخرف، ليعوّض ما فاته من الموهبة، حتى تعثرت «الحقيقة» في ثياب الزينة وضلت طريقها، أو كادت، في متاهات الخيال، كالحريري والقاضي الفاضل وأبي العلاء في بعْض رسائلهم المصنوعة.

من أجل هذا اختلفت أساليب الكتاب وسواهم من الأدباء باختلاف أمزجتهم وشخصياتهم الأدبية، وكلٌّ ميسَّر لما خُلِق له.

٣ ـ اللفظ والمعنى:

من النقاد من يرى القمة البلاغية في الألفاظ ويرى «أنها أغلى من المعنى ثمناً، وأعظم قيمة وأعز مطلباً؛ فإن المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي فيها الجاهل والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك وصحة التأليف»[1].

ومن أنصار هذا الرأي «أبو عثمان الجاحظ» الذي يرى أن العبارة الجزلة الرائعة هي الذروة في البلاغة، أما المعاني فمطروحة في السوق والشارع يقع عليها الأعجمي والعربي، والسوقي والملكي، والمهذب والمثقف.

---

(١) العمدة جـ ١/٨٢ أسفاره بمضى.